بكائية

على نحر القلزم

سيد احمد الحردلو

المرتضى
مكتب السودانية

مجموعة شعرية

سيد أحمد الحردلو

بكائية على بحر القلزم

منشورات دار الأشقاء

للطباعة والنشر والتوزيع المحدودة

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

تونس ١٩٨٥

الطبعة الثانية

الخرطوم ١٩٩٩

التجهيزات الفنية والطباعية

دار هايل للطباعة والنشر والتغليف – الخرطوم بحري

اعترافاتُ عاشقٍ في الأسرْ ،

— 1 —

ليس لي غيرُكِ الآنَّ — سيدتي —
ليس لي مِنْ وطنْ
ولا مِنْ مفرْ ،
فكلُّ المخارجِ مغلقةٌ في طريقِ السفرْ
وكلُّ المداخلِ موصدةٌ في سبيلِ الإيابْ ،
لا مناص أمامي — إذنْ —
نهض البحر قدّام خيلي ..
وعلمها الإنسحابْ .

— 2 —

فأنتِ جميعُ النساء اللواتي
تربعنّ فوق ذرى الأَمكنه
وأنتِ جميعُ النساءِ اللواتي
سيولدن في مُقبلِ الأزمنه
ويمنحنَ شعرًا جديدًا .. وفكرًا ،
ويكتُبْنَنا وطنًا أحسنا .

— 3 —

وأنتِ هجرتي إلى مدائنِ الشعرِ
وصولتي في باحةِ النثرِ ،
وسيفيَ المسلولُ عند حومَةِ الوغى ..
وخيليَ المقتحمه
حين تحين لحظةُ المصادمه ،
وأنتِ رحلةُ الإيابْ —
للفارسِ الظافرِ —

سالمًا وغانما
ورابحًا تجارةً وفيره ،
وأنتِ — يا أميره —
تلامسين قلبي مثلما
يلامس السحابُ قُننَ الجبالْ
فيهمر المطرْ
يسقي الحقولَ والأنهارَ والأطيارَ والوهادْ.
فتورقُ الرحمةُ ..
ثم يبدأُ الميلادْ.

— 4 —

سيدتي المتوجة
بالوهجِ والدهشةِ والحضورْ ،
سيدتي الموسمه
بالحبِ .. والغبطةِ والسرورْ ،
أعترفُ الآنْ
بأنْ أبقى لديكِ

قلوبُهمو مثقلة،
تهاوتْ جحافلُهم داخل السفنِ الأجنبيةِ ..
راياتُها غيرُ راياتهم
وقبطانُها غيرُ قبطانهم ،
وفوقَ رؤوسهمو إنتصبت مقصله،
وها هُم تهاوتْ عليهم جميعُ الجهاتِ..
فغابوا ببطنِ السفينِ ..
وغاب السفينُ بجوفِ المحيطِ ..
الذي غيَّبته دموعُهُم المترعه
بدأتْ هجرةُ الريح في رُدهاتِ البحارِ
وعبر دهاليزِ عالمنا الأربعه

— 2 —

ها هي بيروتُ
مثقلةٌ بالسوادِ ..
يحاصرها الموجُ عند الخليج
الذي ينحني فوق رملِ السّواحلِ

أو ينثني مدبرًا،
فتغتسل الأرضُ بالدمِ ينزفُ في كلِّ دارْ.
فإنّ عطورَ الجزيرةِ والهندِ والصينِ
ليس بمقدورها غسل رائحةِ الدمِ
عن أنفِ بيروتَ،
رائحةُ الدمِ صارتْ كما الخبزِ والماءِ
مثل الهواءِ ..
وشمسِ النهارْ .

— 3 —

ها هُم الآنَ عند أعالى البحارْ
يأكل القرشُ والحزنُ أيامَهم ،
ويردهم الشوقُ نحو الديارْ ،
وأيُّ ديارْ !
حفنةٌ من عظامْ
حفنةٌ من بقايا عيونْ
حفنةٌ من بقايا أنوفْ

حفنةٌ من بقايا شفاه
حفنةٌ من خيامْ ،
كلُّ ما قد تبقى لهم ،
وأمامهم البحرُ
والبحرُ ليس له من قرارْ .

— 4 —

وها هي بيروتُ
مغلولةٌ بالسكوتِ
ومغلولةٌ بالبوارجِ .. والنارِ والطائراتْ ،
وها هُم هنالك عندَ أعالى البحارْ
يأكل القرشُ والحزنُ أيامَهم
ويردهم الشوقُ نحو الديارْ .
فأيهما الفائزُ الآنَ ؟
مَنْ ظلّ في الأسرِ والقهرِ ...
أم مَنْ يناوشه القرشُ والحزنُ ..
وهو يجوبُ البحارْ ؟

كبيرُ الدراويشِ نام ،

(إلى روح شيخنا محمد المهدي المجذوب)

— 1 —

... حينما انكسرتْ
هامةُ الزمنِ المشرئبِ ...
وانغرستْ لا مكانْ
ندَفَ الصّمتُ فوق تخومِ الزّمانْ
فتحجرتْ الساعةُ الحائطيَةُ في ساحةِ المهرجانْ
وكانت تدقُ
طبولَ (بعانخى) (1)

وتعلنُ أسفارَ (سنارَ) (2)
تنشدُ أمجادَ (كررى) (3)
وتتلو ...
فيختلجُ السهلُ والشاطئانْ
... ها هي الآنَ
موغلةٌ في الظلامِ
ومدبرةٌ في الحطَامِ
وها هو ذا الزمنُ الحجريُّ
ترهل عبر المكانْ ..
كبيرُ الدراويشِ أرهقه الذكرُ
فافترش الأرضَ
أخفى بسبحته فمَه
وتدثر جبتَه ...
ثم نامْ .

— 2 —

.. سكت الطّارُ

لمّا تهالك ضاربُه
حينما ٱرتطمتْ ساقهُ بالرُّغامْ ،
فهرولت الأرضُ تحت عويلِ الدراويشِ
حين هوتْ ساقُه
فهوى ... .
وتهاوى الكلامْ ،
وأدبرت الشمسُ واجفةً
وتردى علىٰ ساحةِ المادحين الظلامْ .

— 3 —

كبيرُ الدراويشِ نامْ
حين أكمل كلمته
حين جوّد ..
حين نال الشرافةَ ..
واللوحُ نامْ ،
عليه السلامْ ،
وسبحانك الله

جلّ جلالُك
أشهدُ أنْ لا إله سواكَ
وأنك وارثُ هذا المكانِ .. وهذا الزّمانْ .

تونس ــ 1982 ــ

1- أحد أشهر ملوك مملكة كوش والتي سادت ألف سنة . عاش في القرن السا بع قبل الميلاد ، وقام بفتح مصر التي دانت زهاء سبعين عاما .

2- إشارة إلى سنار عاصمة مملكة الفونج وهي من ممالك التاريخ الوسيط الهامة .. إذ أنتشر الأسلام على عهدها .. وازدهرت الثقافة العربية .. كما كان للعلمـــاء والمتصوفة فيها شأن .. ولقد أثرت المكتبة السودانية ببعض المؤلفـــات الهامـــة االتي تعكس روح العصر وثقافته .

3- شهدت جبال كررى على مشارف أم درمان في سبتمبر 1898 المعركـــة الفاصلة بين الجيشين الانجليزي – المصري بقيادة اللورد كتشنر وجيوش المهديـــة بقيادة الخليفة عبد الله التعايشي .. وكانت معركة غير متكافئة .. حسمت لصـــالح الجيوش الغازية لأسلحتها المتطورة بينما أبلت جيوش المهدية بـــلاءا حســـنا بأسلحتها البدائية . وكانت تلك بداية الاستعمار الذي اتصل حتى عام 1956

الماضي .. والمضارع ،

— 1 —

يا معشرَ الخزرجْ
صِفوا ليَ الحربَ ،
كيف تقاتلون من يبدأُ بالعداءْ
ويستبيحُ مدنَ الأطفالِ والنساءْ .
قال كبيرُهم :
نرميه بالنبلِ وبالرماحِ ..
ثم نمشي بالسيوفِ ،
حتى يسقط الأعجلُ منا .. أو من العدو ،
فنحنُ أهلُ حربْ .

— 2 —

يا معشرَ العربْ
(من الخليجِ الثائرِ إلى المحيطِ الهادرِ).
صِفوا ليَ الحربَ ،
كيف تقاتلون مَنْ يبدأُ بالعداءْ
ويستبيحُ مدنَ الأطفالِ والنساءْ .
قال خطيبهُم : —
نُحرضُ الجرائدَ الصفراءْ
ونعرضُ السيوفَ في المذياعِ والتلفازْ
ونُحسنُ القصائدَ العصماءْ
ثم نجلدُ البعضَ ،
فبعضُنا جاسوسْ
وبعضُنا كابوسْ
وبعضُنا ينخرُ فيه السُوسْ ،
ثم نمشي بالوعيدِ ...
حتى يسمعِ الأعجلُ منا .. أو مِن العدوْ ،
فنحن أهلُ نَصْبْ .

— 3 —

تكلم الماضي ...
فسكت المضارغْ
ولطمتْ خدودَها الشوارغْ
واستغرق العالَمُ في المدامغْ .

1983

العشقُ .. في الزمنِ الأحدب ،

— 1 —

يممتُ الفرحَ ،
توضأتُ بذكرى مَنْ أهوى ،
وقرأتُ قصيدةَ عشقٍ
ثم نويتُ .

ولما أدركني الفجرُ
وألفاني من دون دثارٍ
زمَّلتُ عيوني .. وبكيتُ .

— 2 —

هأنذا في عشقي منهمكٌ ،
أطلبُ سلوى مَنْ دنَّفه العشقُ ،
وأضناه الشوقُ ،
وأبلاه المشوارْ .

هأنذا أحتارْ
ما بين الموتِ بعشقٍ
والعشقِ بموتٍ ،
هأنذا أتواصل في الحيرةِ ...
أتلاشى في النارْ .

— 3 —

علَّمَني هذا الزمنُ الأحدبُ
أنّ العشقَ بلاءْ
وأنّ العشاقَ هم السفهاءْ ،

علمني هذا الزمنُ الأحدبُ
أنّ الفرحَ بكاءْ
وأنّ الأمواتَ هم السعداءْ ،

علَّمَنِي هذا الزمنُ الأحدبُ
أنّ العاقلَ مَنْ شال منيتَه ...
واحتكم إلى الرمضاءْ .

— 4 —

هأنذا ..
يا زمنَ الردةِ والهِجْرةِ .. والسُفهاءْ ،
هأنذا .. يممتُ الفرحَ ..
توضأتُ بذكرى مَنْ أهوى ،
وقرأتُ قصيدةَ عشقٍ ..
ثم توكلتُ على الرمضاءْ .

تونس — 1982 —

بيانٌ .. من الأهل بالداخل ،

— 1 —

أيها الناسُ
في كلِّ عاصمةٍ عربيه
أمام المدافئ
أو في المقاهي ..
تلوكون مرثيةً جاهليه
عن القدسِ والحزنِ .. والمجدليه ،
دقيقةَ صمتٍ
عن اللغوِ ...
حتى نرد التحيه ،

— 2 —

وأنتم تصولون
في ردهاتِ البلاغةِ
والخطبِ الموسميه
وأنتم تُعيدون
للمرةِ الألفِ
فتحَ ملفِ القضيه ،
دقيقةَ صمتٍ —
قُبيلَ إذاعتكم للبيانِ —
عن اللغوِ ...
حتى نرد التحيه ،

— 3 —

دقيقةَ صمتٍ
لنسمع ماذا تقول
الحجارة للبندقيه

وماذا تقول الأظافرُ
للطائراتِ .. وللمدفعيه ،
وكيف تقاتل بالنابِ ...
امرأةٌ عربيه
وكيف يموت المقاتلُ ...
ثمّ يقوم شظيّة
وراء المتاريسِ
خلف الحدودِ ..
التي أصبحتْ عربيه ،

— 4 —

وجاء حديثُ فلسطينَ منها
وكنا نحدثها نحن .. عنها
حديثًا مريضًا كأيامنا ،
وجاء إلينا .. ومنها البيانْ
بيانُ الحجارةِ .. كيف تقاتلْ
بيانُ الأظافرِ .. كيف تجادلْ

بيانُ اليتامى ...
بيانُ الأرامل ،
وجاء بيانُ فلسطين منها ..
وأخبرنا كيف صارت تقاتل ،

— 5 —

تُرانا نرد التحيه
بمقدارها
أو بأحسن منها ..
تُرانا .. نرد التحيه!

— 6 —

إننا سعداءُ
لأنكمو تسلكون الطريقَ الحقيقيَّ
نحو القضيه
طريقَ مصادمةِ البندقية

طريقَ مطاردةِ البندقية
طريقَ التقدمِ نحو القضية .

— 7 —

إننا نرفعُ القبعاتِ .. تحية
إنّنا ننحني لكمو .. بالتحيّهْ ،
فكلُّ المتاحِ لنا الآن ..
أنْ نرفع القبعاتِ ..
وأنْ ننحني بالتحيه .

تونس — مارس — 1982

زمنِ الشِركِ
واليأسِ ..
والجاهليةِ ..
والوأدِ .. والإنقسامْ .
فزمانُ المحبين ولى
وجاء زمانُ الفجاجةِ ..
والنثرِ ..
والقهرِ .. والانهزامْ .

فبأيّ اللغاتِ ــ اذنْ ــ
يحمل العاشِقوكِ .. تشاويقَهمْ ..
وبأيٍّ ضروبِ الكلامْ .

أمنحيني السلامْ ،
فأنتِ جميعُ اللغاتِ ..
جميعُ القصائِد ...

ما كان منها ...
وما لم يكنْ ،
وإني لصاحبُكِ المُستهامْ .

1983

لهذا الوطن ،

○ لهذا الوطنْ
معمدةٌ جبهتي بالحَزَنْ ،
ومنذورةٌ كلُّ لحظةِ شِعرٍ ..
وميلادِ أُغنيةٍ .. أو شجنْ ،

○ لهذا الوطنْ
معمدةٌ . كلُّ رعشةِ حبٍ ...،
وكلّ ابتساماتِ هذا الزمنْ ،

○ ومنذورةٌ .. كلُّ أيامِ عمري ..

فما كان منها ...
وما لَمْ يكنْ ،

○ لهذا الوطن .

مقاطعُ حبٍ .. إلى بغداد ،

— 1 —

.. لمّا رأيتُكِ طالعةً في المشارقِ
شمسًا .. وبأسًا
وزرعًا .. وضرعا
وحين شهدتُكِ وسَط دخانِ المدافعِ
تبتسمينَ ..
ولستِ تضيقين ذرعا
مُخوِّضةً عبر نهريك واهبةً كلَّ ما ادَّخرتِ
من السالفين ... ثمنْ
ليبقى الوطنْ ،

تيقنتُ أنكِ ما زلتِ حاضرةَ الشرقِ
مازلتِ سيدةَ العصرِ
مازلتِ أنتِ الوطنْ .

— 2 —

... إنهم يعرفون حقيقةَ أنّ الطريقَ
إلى البحرِ والنيلِ
يبدأُ منكِ .. ولا ينتهى أبدا

وأنكِ بابُ العروبةِ
جسرُ التواصلِ
نهجُ التماثلِ
بدءُ الطريقِ لكلِّ المدنْ
وأنكِ بابُ بيوتِ الذين ينامون ملءَ الجفونِ ..
وهُم يحلمون بدفءِ الوطنْ .

... وهُم يعرفونَ

بأنّ الذي يستبيكِ.. استبانا
وأنّ الذي يحتويكِ .. احتوانا
وأنّ الذي يقهُر الحبّ فيكِ
سيقهره في قلوبِ الجميعْ
لأنّ الطريقَ إلى الحبِ ..
يبدأُ منكِ ...
ولا ينتهي أبدا .

— 3 —

جين يكون زمانُ المُلماتِ
حين يجيءُ زمانُ المروءاتِ
حين يحاصرنا الموتُ
كنا اذا صاح واحدُنا .. نتداعى
خِفافًا .. سِراعا
فإذ نحنُ ريحٌ من الصّافناتْ
واذ نحنُ دنيا من المُعطياتْ ،

... ودال علينا الزمنْ
وعمّدنا بالوهنْ ،
فها أنتِ ــ يا ابنةَ الأكرمينْ ــ
فها أنتِ يقصدكِ الطالبونَ
لثأرٍ قديمٍ
وحلمٍ رجيمْ
وها أنتِ وحدكِ ــ سيدتي ــ
تدفعين الأذى
وها أنتِ وحدكِ ــ سيدتي ــ
تردعين الردى
وها نحنُ في المنتدى
ندينُ العِدا
ونهربُ في آخرِ الليلِ للكأسِ والطاسِ
والغانياتْ
ووحدكِ ساهرةٌ
تحرسين سماءَ العروبةِ
من عبثِ الحقدِ .. والعادياتْ .

— 4 —

نُصارحكِ القولَ
ظلي كما أنتِ تبتسمينَ
ولستِ تضيقين ذرعا
وظلي على هامةِ الشرقِ
شمسًا .. وبأسًا
وزرعًا .. وضرعا
مخوضةً عبر نهريكِ
واهبةً كلَّ ما ادخرتِ من السالفين ... ثمنْ
ليبقى الوطنْ .

نُصارحك القولَ
ظلي كما أنتِ
حتى يعود الزمانُ إلى بيته العربيّ

وظلي كما أنتِ
حتى يعودَ المكانُ إلى عصره العربيّ

وظلي كما أنتِ
حتى تعود المروءةُ من سِفْرٍ أجنبيّ
وظلي كما أنتِ
حتى تعود السيوفُ إلى غمدها العربيّ .

نُصارحكِ القولَ
ظلي كما أنتِ تبتسمينَ
ولستِ تضيقين ذرعا

وظلي على هامةِ الشرقِ
شمسًا .. وبأسًا
وزرعًا .. وضرعا

مخوضةً عبر نهريكِ
واهبةً كلَّ ما ادخرتِ من السالفين ... ثمنْ
ليبقى الوطنْ .

الخرطوم ــ فبراير ــ 1984 ــ

إهاناتٌ مُسببة ...
الى الزمنِ العربيِّ المعاصر ،

الفاتحة :

نفتتحُ الآنَ
باسمِ العروبةِ
والقهرِ .. والجاهليه

حفلَ السقوطِ
وحفلَ البكاءِ
وموتِ القضية

ونقرأُ في البدءِ

فاتحةَ الضارعين ..
على أُمةٍ عربيه ،

الشهادة :

ها نحن ما بين دجلة والنيلِ ..
نلقى الأمرّينْ
فها هي بغدادُ
ما بين قوسينْ
وها هي بيروتُ
ما بين نارينْ ،
فيا ربُّ اشهد
بأنّا احتربنا ..
وكنا شقيقينْ
وكان العدو على البابِ يطرقُ ..
أو قاب قوسينْ ،

الخروج :

يا وطنَ الشعرِ
والشمسِ ..
والفتحِ .. والقادسية

ويا وطنَ السيفِ
والخيلِ ..
والفكرِ .. والعبقرية

ويا وطنَ الراحِ ...
والرّوحِ والرّيحِ .. والأريحيّة ،

ماذا دهاكَ
ومَنْ ذا رماكَ ..
لعصرٍ من اليأسِ والجاهليه ؟
وكيف كبوتَ
وكانت خيولُك ..

تختالُ مقدامةً للمنية
وكيف انكفأتَ ..
وعُفِّر وجهُك ..
بالقهرِ والحزنِ .. والبربرية ؟

الدخول :

ها هم الآنَ
من كلِّ فاصلةٍ فيكَ ــ يا وطني ــ
يطلعونْ
وها هم الآنَ
من كلِّ جارحةٍ فيكَ ــ يا وطني ــ
يخرجونْ
بكلِّ اللغاتِ ..
بكلِّ المداخلِ ــ يا سيدي ــ يدخلونْ ..
فها هم يُقيمون في طولِ شارعك العربيّ
وها هم ينامون في عرضِ تاريخك العربيّ
وها هم يبيعون رسمَك للسائحِ الأجنبيّ

وها هم يبولون في حرمِ المسجدِ الأمويّ
وها هم يبيحون كلَّ حفيداتِ بيتِ عليّ ،
وها أنتَ ..
لم يبق منكَ ..
سوى اسمك العربيّ.

الخاتمة :

نختتمُ الآنَ
باسمِ العروبةِ ..
والقهرِ .. والجاهلية
حفلَ السقوطِ ..
وحفلَ البكاءِ ..
وموتِ القضيه ،
فمدوا مباهجكم ..
أيها العربُ الأوفياءْ
ارفعوا الكأسَ ...
فالأرضُ دارتْ ..

وعدنا إلى زمنِ الهمجية ،
فها هي أيامُنا جاهلية
وها هي راياتُنا فارسيه

وها نحن في آخرِ الأمرِ عدنا ..
بدون هويه
ودون قضيه .

1982

ودارتْ ساعةُ بقْ بنْ ،

ذاتَ مساءٍ عجميٍّ رطّانْ
كنا نعبرُ جسرَ الوترْ لُو ،
وكان التيمزُ
يتهادى ...
عبر الأضواءِ المنكفئةِ فوق الشطينْ
كرهطِ قمارى أرهقه التِسفارْ ،
وكان صديقي يستغرقُ في شيءٍ ما ..
ويسافرُ عبر دُخانِ سيجارته الخمسينْ ،
فيما كنتُ أُنقبُ أقدامَ المارةِ عنها ..
دارتْ ساعةُ بقْ بنْ دورتَها العشرينْ
فانكسر الصمتُ ...

وصار هتافَ ملايينْ ،
في تلك اللحظةِ بالذاتْ
فكرتُ بافريقيا ...
ما بين الغابةِ والصّحراءِ ..
وما بين النيلينْ ،
وشعرتُ بغيمةِ حزنٍ
تتهاطل في قلبي زخاتْ
هذا النهرُ الضحاكْ
وهذي الأضواءُ المنكفئةُ فيه
تعرفُ تلك الصرخاتْ
ونواحَ الغابةِ لما اغتصبوها
وبكاءَ الصحراءْ
لمّا استلبوها
وعويلَ الشطينْ
لمّا احتشد الشهداءْ
لمّا صار النيلُ بحيرةَ دمْ ..
وسرادقَ أحزانْ ،
في تلك اللحظةِ ...

... صار النيلُ بحيرةَ دمْ
وسرادقَ أحزانْ ،
في تلك اللحظهْ ..
انسرقتْ عيناي برغمٍ عني
وانكفأتْ تحت الأقدامْ
تُنقبُ فيها .. عنها ،
فيما كان صديقي الافريقيُّ يسافرُ
عبر دُخانِ
سيجارته السبعينْ ،
فصفعتُ الجسرَ بقعرِ حذائي وهتفتُ
(كنا نمشي .. فالساقُ مع الساقْ)
ضحك صديقي ،
(وذراعًا بذراعْ)
ضحك صديقي ،
(كانت تخطو كالملكةِ فكتوريا)
ضحك صديقي ،
(كانت تُبصر في عينيَّ العالمْ)
ضحك صديقي ،

(وأنا كنتُ السيدَ والمعبودْ)
فاذا بصديقي يتلوى ضحكًا ...
والنهرُ يقهقهُ ...
والأضواءُ المنكفئةُ تنهضُ،
والنيلُ يصيرُ بحيرةَ دمْ
وسُرادقَ أحزانْ ،

.....

.....

ودارتْ ساعةُ بقْ بنْ
دورتَها .. بعد العشرينْ ،

لندن 1968

يا ليلُ .. الحزنُ متى غدُه ؟

يا ليــلُ، الحزنُ متـــى غدُه ومتـــى يتنـــاءى مشهـــدُه
ما زال يُعربـــدُ في الدنيـــا سيفًـــا ... مجنـــونٌ سيـــدُه
أوَظـنَ بأنّـــا قد بِتنـــا لا حولَ لنـــا . تَبّتْ يدُه
فتمادى قهـــرًا في الدنيـــا وكـــأنّ الساعـــةَ موعـــدُه
وتنـــــــاسى أنّ له حدًا فالحزنُ له ــ أيضًا ــ غده .

تونس ــ 1980

شيءٌ ما

ذاتَ مساءْ
كنا نتساقى أسرارَ العشقِ
وكنا نتدفأُ بالبوحِ ..
وكان الكونُ غناءْ ،

ذاتَ مساءْ
كنا في بيتٍ كالحفنةِ
مرميٍّ عند تخومِ الغيم ..
ومحميٍّ فوق حدودِ الوَصلِ ..
كأيِّ سماءْ
.. وكان المطرُ يُدَفْدِفُ عبر نوافذِه

والضوءُ حييًا ..
ينسرقُ إلينا في بُرحاءْ ،
.. لمّا ندفتْ فينا لحظةُ شيءٍ ما
لمّا هرب البابُ إلينا
لمّا هجم الصمتُ علينا
لمّا جاءْ
شيءٌ ما،
شيءٌ كالسارقِ والمسروقْ
شيءٌ كصهيلِ جوادٍ مخنوقْ
شيءٌ مشنوقْ ،
فانكسرتْ آنيةُ الرغبةِ فينا
واستيقظ شيءٌ كان دفينا ،
فبكينا كبكاءِ البحرِ .. لموتِ النهرِ
وتساقطنا في القهرِ
فولينا الأدبارْ ،

في ذاتِ مساءْ ،

1982

كاريكاتير ...،

— 1 —

كان حييًّا
ونبيلًا جدا
وبسيطًا
وودودًا جدا
ومحبًا جدا ،

ذاتَ مساءْ
حدّق في الدنيا .. ونظرْ
فاذ الدنيا من أدناها .. تأتيه

واذ الدنيا من أقصاها... تُدنيه
وتناغيه ،
فرأى فيما ينظرُ عجبا
واشتعلتْ عيناهُ من الدهشةِ .. طربا
فتداعى
فانجذبا
فاستغرق في الدنيا .. حِقبا ،

... حتى أدرك أرضًا مرميه
ما بين محيطٍ وخليجْ
فنظرْ
وتعوّذ .. ثم نظرْ

فاحتقنتْ عيناهُ أسىً ...
واشتاطتْ غضبا
فهوى بيديه على لحيته البيضاءِ
يمزقها إربا

وبكى

حتى اغتسلتْ لحيتُه
حتى وانته منيتُه
حتى نضبا ،

— 2 —

يرحمه الله .

تونس — أبريل — 1984 —

بُكائيةٌ .. على بحرِ القُلْزُمْ *

— 1 —

أغني لتلك السواحلِ
يمضغها الرملُ ،
يأكلها وجعٌ من بطونِ التواريخِ ،
اتكأتْ عند خطِ التماسِ السماواتِ بالبحرِ ،
تغزلُ من موجهِ خيمةً
يستريح بها القهرُ والصبرُ والانتظارْ.

(*) نقول : تقَلزَّم الشئ .. أي ابتلعَهُ — وقد أُطلق إسم (بحر القُلْزُم) على البحر الأحمر ... لإلتهامه مَنْ ركبه .. وهو المكانُ الذي غرق فيه فرعونُ وآله — بينما ينسب آخرون الإسمَ إلى ميناءِ قُلْزُم .. على ساحلِ بحرِ اليمن — ،

أغنّي وصوتيَ مئذنةٌ حملتها الرّياحُ ..
تُزفزفُ من آخرِ الزمنِ الآسيويِّ ــ
فريحٌ تُدحرجها للوراءِ
وأُخرى تلوذ بها للأمامِ ــ الذي
يتحصنُ بين الشذى والبهارْ .

ــ 2 ــ

أغني لرملِ السواحلِ
احتشدتْ فيه أشباحُ عشاقِ عصرٍ
من النورِ كانَ ،
وإنّ عصورا من النورِ سوف
تجيئُ .. مع النورسِ القُلْزُميِّ ...
ومن كلِّ صوبٍ وحدبٍ
مع الخيلِ والليلِ .. والفرجِ المستجيشْ .

أغني لرملِ السواحلِ

والصوتُ يَعلو .. ويَسمو
وينثالُ فوق القراميدِ ،
يُدلج في البحرِ
يضربُ في البرِّ ...
حتى إذا أدركته المرافئُ
حطَّ لكي يستريحْ .

— 3 —

يساورني —
حين ألقاكَ نهبًا مباحًا لكلِّ قراصنةِ البحرِ ...
كلِّ لصوصِ أُوربا ..
وكلِّ نفاياتِ آسيا — بكاءْ .
فأمتشقُ السيفَ والنصلَ
أغزوكَ ،
أغزو المروءةَ فيكَ
وأغزو البطولةَ فيكَ
وأنتهرُ الخيلَ كي تستفيقَ ..

وأنتهرُ العربَ القدماءْ .
وأخرجُ فيكَ بجيشيَ ..
لا تغربُ الشمسُ فوق مضاربه ،
جندُه باع دنياهُ
واقتحم الموتَ ..
منتظرًا في الحدودِ الإشارةَ ..
حشدًا من الشهداءْ .
فقُمْ ... أيها البحرُ ..
قُمْ واغتسلْ وتوضأ واقرأ ،
لنعطي الاشارةَ ..
نُعطي البشارةَ
للواقفين صفوفًا .. كُتوفًا
من البابِ للبابِ ..
بالسيفِ والنصلِ والكبرياءْ .

— 4 —

فها هي ذي السُفنُ العربيةُ

تنشرُ فوق البحارِ القُلوعَ ..
تعود محملةً بالتوابلِ والعاجِ والعطرِ والآبنوسِ
من الهندِ والبونتِ ،
طالعةً في أعالي البحارِ
وهابطةً في المرافىءِ بالفوزِ والربحِ.. والانتصارْ.
وهاهُم على ساحليْكَ يعودون
رُومًا .. وفُرسًا ..
بطالمةً .. ويهودْ .
وها هُم بنجرانَ .. ذاتِ الأخاديدِ ..
و(النارِ ذاتِ الوقودْ.)
وها هو أبرهةُ الحبشيُّ يحاصرُ مكةَ بالمنجنيقِ ..
وبغدادُ ــ حاضرةُ الشرقِ ــ مذبوحةٌ للوريدْ .
وها هي كلُّ مداخلك الآنّ مسدودةٌ بالمغولِ
وكلُّ مخارجك الآنّ محروسةٌ بالتتارْ .
فقُمْ .. أيها البحرُ ...
قُمْ واغتسلْ وتوضأ واقرأ ،
لنعطي الاشارةَ ..
نعطي البشارةَ

للواقفين صُفوفًا .. كُتوفًا
من البابِ للبابِ ..
يمضُغهم وجعُ الانتظارْ .

— 5 —

أغني لرملِ السواحلِ ،
يا أيُّها الوجعُ المستبد بنا .
أيُّها المستبيحُ مراقدَنا
مثلما تفعل النارُ في الأرضِ
حين تمورُ ،
كما الشوقُ في القلبِ حين يراودنا العشقُ
أو نتداركه في خريفِ الزمانْ .

أما حان أنْ يطلع البدرُ فينا
فنلقاهُ عند الثنياتِ..
بالدُّفِّ والكفِّ .. والمهرجانْ ..
نشيلُ البيارقَ —
تِلوَ السيوفِ —

وفوق الكتوفِ ،
ندوسُ بها فوق جيشِ المغولِ
الذي استراح ..
وقد استباح رمالَ السواحلِ ،
يمضُغها وجعٌ يستبد بنا
كلَّ آونةٍ من أوانْ .

— 6 —

أغني لرملِ السواحلِ .
صوتي مشتعلٌ كصهيلِ جوادٍ من الحُلمِ ،
من أولِ الزمنِ العربيِّ الخرافيِّ
من آخرِ الزمنِ العربيِّ الخرافيِّ ،
من كلِّ نجدٍ من الزمنِ
القُرشيِّ اللسانْ .

أغني لرملِ السواحلِ

متكئًا فوق سَجادِه العربيّ
أشاهدُ وجهَ عليّ
وخالدَ بن الوليدِ
وطارقَ بن زيادَ
وأيوبَ مصرَ ...
وعنترةَ العَبَسيّ.
أشاهدُ جيشيَ لا تغربُ الشمسُ فوق مضاربه ،
فَيْلَقٌ في الخليجْ
فَيْلَقٌ في المحيطْ ،
فَيْلَقٌ في البحارْ
فَيْلَقٌ في الديارْ ،
فأمتشقُ السيفَ يقطرُ من دمه الأجنبيّ .
وأعبرُ بابَ الجزيرةِ ..
والكونُ تحت سنابكِ حيليَ ... وبين يديّ .

— 7 —

أغني لرملِ السواحلِ ما شهدته السواحلُ

أغني لرملِ السواحلِ ،
يا أيُّها الوجعُ المستبد بنا .
أيُّها المستبيحُ مراقدَنا
مثلما تفعل النارُ في الأرضِ
حين تمورُ ،
كما الشوقُ في القلبِ حين يراودنا العشقُ
أو نتداركه في خريفِ الزمانْ .

أما حان أنْ يطلع البدرُ فينا
فنلقاهُ عند الثنياتِ..
بالدُّفِّ والكفِّ .. والمهرجانْ ..
نشيلُ البيارقَ —
تِلوَ السيوفِ —

وفوق الكتوفِ ،
ندوسُ بها فوق جيشِ المغولِ
الذي استراح ..
وقد استباح رمالَ السواحلِ ،
يمضُغها وجعٌ يستبد بنا
كلَّ آونةٍ من أوانْ .

ماوشوش الموجُ
ما فعل الفوجُ .. بالأوّلينْ
فينفلقُ البحرُ ..
حتى إذا ما توغل فرعونُ
إنبهل الطودُ .. وانسدل الموجُ
وارتحل البحرُ .. بالآخَرِينْ ،

— 8 —

أغني لتلك السواحلِ
يمضُغها الرملُ ..
يأكلها وجعٌ من بطونِ التواريخ ،
إتكأتْ عند خطِ التماسِ السماواتِ بالبحرِ ،
تغزلُ من موجه خيمةً
يستريحُ بها القهرُ والصبرُ والانتظارْ.

تونس — مارس — 1982 —

فهرست

1	ــ اعترافات عاشق في الأسر	3
2	ــ سِفر الخروج .	7
3	ــ كبيرُ الدراويشِ نام .	11
4	ــ الماضي والمضارع .	15
5	ــ العشقُ في الزمن الأحدب .	18
6	ــ بيانٌ من الأهل بالداخل .	21
7	ــ دائـمًا في الزحام .	26
8	ــ لهذا الوطن .	30
9	ــ مقاطعُ حبٍ .. إلى بغداد .	32
10	ــ إهاناتٌ مُسببةٌ .. إلى الزمنِ العربيّ المعاصر.	38
11	ــ ودارت ساعةُ بِق بنْ .	44
12	ــ يا ليلُ ، الحزنُ متى غده.	48
13	ــ شيءٌ ما .	49
14	ــ كاريكاتير .	51
15	ــ بكائيةٌ ... على بحر القُلْزُم .	54

أعمال للمؤلف

١- غدا نلتقي – مجموعة شعرية

- ❑ طبعة أولي – القاهرة – ١٩٦٠م
- ❑ طبعة ثانية – بيروت – ١٩٦٨م
- ❑ طبعة ثالثة – بيروت – ١٩٧٠م
- ❑ طبعة رابعة – تونس – ١٩٨٣م

٢- ملعون أبوكي بلد – مجموعة قصصية

- ❑ طبعة أولى – القاهرة – ١٩٦٥م
- ❑ طبعة ثانية – بيروت – ١٩٦٨م
- ❑ طبعة ثالثة – بيروت – ١٩٧٠م

٣- مقدمات – مجموعة شعرية

- ❑ طبعة أولى – بيروت – ١٩٧٠م
- ❑ طبعة ثانية – القاهرة – ١٩٨٦م

٤- مسدار .. عشان بلدي – مجموعة شعرية بالعامية السودانية

- ❑ طبعة أولى – الخرطوم – يناير ١٩٧٨م

٥- نحن – قصيدة طويلة بالعامية السودانية

- ❑ طبعة أولى – الخرطوم – مايو ١٩٧٨م

٦- سندباد .. في بلاد السجم والرماد – مجموعة شعرية بالعامية السودانية

❑ طبعة أولى – الخرطوم – مايو ١٩٧٨م

٧- عرضحال .. من جملة أهالي السافل .. يوصل ، مسرحية شعرية بالعامية السودانية – من مسرح الرجل الواحد

❑ طبعة أولي – الخرطوم – ١٩٨٠م

٨- كتاب مفتوح .. إلي حضرة الامام – مجموعة شعرية

❑ طبعة أولى – لندن – يناير – ١٩٨٥م

٩- أنتم الناس أيها .. اليمانون

❑ طبعة أولى – الخرطوم – ١٩٩٩م

١٠- أجيك عاشق مسافر ليل – مجموعة شعرية بالعامية السودانية

❑ طبعة أولى – القاهرة – ١٩٩٧م

١١- خربشات علي دفتر الوطن – مجموعة شعرية

❑ طبعة أولى – القاهرة – ١٩٩٧م

١٢- الخرطوم .. يا حبيبتي – مجموعة شعرية

❑ طبعة أولي – الخرطوم – يوليو ١٩٩٩م

رقم الإيداع ٩٩/٢٣١

دار هـايل للطـباعة والنشـر والتغليف
HAIEL HOUSE FOR PRINTING PUBLICATION

لا لإحتكار
الكتب السودانية